بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد.. فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وأسأل الله -جل وعلا- في بداية هذه المحاضرة أن ينفعنا جميعًا بما نقول ونسمع، وأن يبارك لنا في أعمارنا وأعمالنا وأقوالنا وأوقاتنا.

هذه المحاضرة المخصصة لمنهج الأنبياء -عليه الصلاة والسلام- في التربية والدعوة، نبدأها بما نقوله في كل صلاة، نقرأه في كل صلاة سورة الفاتحة، تذكرنا بهذا اللزوم لهذا المنهج الواجب اتباعه، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

هذا الدعاء العظيم، الذي يدعو به كل مسلم وجوبًا في كل ركعة، هو أعظم دعاء، وأوجب دعاء، وأفضل دعاء يدعو به، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، هذا الصراط أيها الإخوة والأخوات هو الوسيلة إلى النجاة، هو الوسيلة إلى الفوز والفلاح، فلا فلاح إلا بلزومه، ولا نجاة إلا بلزومه، ولا فوز إلا بلزومه، ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

إليه دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال -جل وعلا-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٣، ٧٤]، وهو على صراط مستقيم -صلى الله عليه وسلم- أقسم على ذلك -جل وعلا- بقوله: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ١- ٤]؛ أي على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الإسلام.

وقال -جل وعلا-: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]، والعبد مضطر إلى لزوم الصراط المستقيم، والثبات عليه، لزوم صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قال -جل وعلا-: ﴿وَمَن

يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فلا نعيم إلا بلزوم الصراط المستقيم، لا نعيم إلا بلزوم طاعة الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولا هداية إلا بذلك، قال -جل وعلا-: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

فيا هناء من كان في ركب النبيين -عليهم الصلاة والسلام-، يتسم خطاهم، ويقتفي آثارهم، وكم في كتاب الله -جل وعلا- من ذكر لسيرهم، كم في كتاب الله من ذكر لأحوالهم، كم في كتاب الله من ذكر لمقاماتهم، كم في كتاب الله -جل وعلا- من ذكر لصلتهم بالله -عز وجل-، وصلتهم بخلقه، من دعوتهم إلى الإيمان، ومن البذل لهم والإحسان، قد قال صاحب السجن ليوسف -عليه السلام-: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

وقالت أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «كَلَّا، وَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ».

هكذا كان الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قبل النبوة وبعدها، أولئك الأخيار تتعطر الأفواه بذكرهم، ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]، ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤١- ٤٤]، ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥- ٤٨].

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٤٩- ٥٤].

اللهم جد علينا بفضلك، وارزقنا من واسع رحمتك، وتول أمرنا واسلك بنا صراطك المستقيم، إن في القرآن أيها الإخوة والأخوات لعبرة، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، فالسعيد كل السعادة من تتبع صراط الذين أنعم الله عليهم في كتاب الله، وتخلق بأخلاقهم، واقتفى أثرهم، وإمامهم ومقدمهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الذي نعته الله -عز وجل- بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وقد سئلت عن خلقه، «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»، فكل خلقه -صلى الله عليه وسلم- كل القرآن، ما من خُلُق في القرآن، إلا وللنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- القدح المُعَلَّى فيه -عليه الصلاة والسلام-.

فلله الحمد والمنة أن هدانا برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، هدانا إلى صراطه المستقيم، قال -جل وعلا-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

صراط أيها الإخوة سلكه النبيون والمرسلون -عليهم الصلاة والسلام-، فكونوا على إثرهم، وخذوا من إرثهم، فإن الأنبياء لم يُورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

في سير الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وقصصهم بعثٌ للسلوك، وتصحيحٌ للفهم، وحَادٍ للعمل، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

سير الأنبياء خير السير، وقصصهم أحسن القصص، قال -جل وعلا-: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

سير الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فيها التفكر والعبر، قال -جل وعلا-: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وفي القرآن العظيم أيها الإخوة والأخوات ما يستزيد به المرء لحياته، قص الله علينا من نبأ بعضهم، قال -جل وعلا-: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] الآية.

هذا الموكب العظيم موكب النبيين والمرسلين يستشعره المؤمن في كل صلاة، في التشهد يقول: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، يَستشعره المؤمن في كل دعاء، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا قام من الليل استفتح بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

فالنبيون حق -عليهم الصلاة والسلام-، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- حق، وأنباؤهم حق، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].

وفي قصصهم حِكَم عظيمة، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

قصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في القرآن الكريم فيها العظة والعبرة، وفيها الإجمال دون التفصيل، الذي اهتم به طائفة من المؤرخين، مما لا عمل جراء معرفته،

ولذلك قال العلماء: كل مسألة لا يَنبني عليها عمل، فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي.

فاطلب أخي الكريم وأختي الكريمة من قصصهم اطلب ما تنتفع به في خلقك وصلاح حالك.

منهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- منهج يسير محكم، وأفراده متنوعة، وكل يأخذ منها ما يطيقه ويلائمه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، تنوع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في مقاماتهم، وفي أقوامهم، ووفي المقامات كلها محمد -صلى الله عليه وسلم-، وخليل الرحمن ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]، فكيف نبعث سلوك الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في نفوسنا؟

من قصصهم يستلهم التوحيد، وإنما بعثوا لأجله، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

من قصصهم يستلهم المنهج في الدعوة والتربية، فمنهم تُستلهَم التزكية، فتزكية النفوس من أجلِّ وظائف النبوة، بها دعا الخليل -عليه الصلاة والسلام- وإسماعيل -عليه الصلاة والسلام- دَعَوَا ربهما بقولهما: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فكان محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- دعوةَ إبراهيم، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وكان مِنَّةَ الله -جل وعلا- على المؤمنين، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

كل النفوس أيها الإخوة والأخوات كل النفوس ظامئة، ولا يروي عطشها إلا اقتفاء آثارهم -عليهم الصلاة والسلام-، والسير على منهاجهم، فقد أفلح من زكاها، وقد خاب من دسَّاها.

وكل النفوس فقيرة إلى ما به غِناها وتحقيق مُناها، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

بعث الله -عز وجل- النبيين والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- لتعريف الناس بربهم، ودلالتهم عليه، فمنهم تستلهم الدعوة، رسلا مبشرين ومنذرين، قال -جل وعلا-: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

منهم -عليهم الصلاة والسلام- تستلهم الرحمة، فهم أرحم الخلق بالخلق، وبعث الله محمدا -صلى الله عليه وآله وسلم- رحمة للعالمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهو الرحمة المهداة -عليه الصلاة والسلام-.

فمنهم تُستلهم الحكمة، بُعثوا بها، ودَعَوا بها، ودعوا إليها، ولمحمدٍ -صلى الله عليه وآله وسلم- النصيبُ الأعظمُ من الحكمة، قال ابن القيم رحمه الله: فلو جُمعت كل حكمة صحيحة في العالم من كل طائفة، لكانت في الحكمة التي أوتيها -صلوات وسلامه عليه- جزءا يسيرا جدا لا يدرك البشر نسبته.

منهم -عليهم الصلاة والسلام- يستلهم الرشد، ومنهم يستلهم الرفق، ومنهم يستلهم العفو، قال -عليه الصلاة والسلام-: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»، ومن قبل قال يوسف -عليه السلام- لإخوته: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢].

ومنهم تُستلهم القوة والعزيمة ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، وفي الحديث: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ».

ومنهم يُستلهم الصبر، قال -جل وعلا- لنبيه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وإنما تدرك الحياة الطيبة -أيها الإخوة والأخوات- بالصبر، وتدرك السعادة في الدنيا والآخرة بالصبر، ويدرك كل خير في المعاش والمعاد بالصبر، هكذا فهم صحابة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، هكذا أخذوا وفهموا من سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن كتاب ربنا -جل وعلا-، ولذلك جاء عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: وجدنا خير عيشنا بالصبر.

ذُكِرت سِيَرُهم في القرآن العظيم لغايات عظيمة، أعظمها التَّخلُّق بأخلاقهم، والسير على مِنهاجهم، وتأمَّل حال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- الذي نزل عليه القرآن بنبئهم قال -جل وعلا-: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا أُوذي قال: «لَقَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»، وأمره الله -جل وعلا- بالصبر في آيات عدة؛ مثل قوله -جل وعلا-: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، وقوله -جل وعلا-: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩].

فما أعظمَ هذه الآيةَ لكل داع إلى الله -عز وجل-، بل لكل مسلم، فمن صبر لحكم ربه نال العناية، نال المعية من ربه -جل وعلا-، فيقين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أن الأمر كله لله، فلا رادَّ لفضله، يُصيب به من يشاء من عباده سبحانه.

قوله -جل وعلا-: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾؛ أي: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، نحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء، فإنك بمَرْأًى منا وتحت كَلْأَتِنا.

وقال أحد المفسرين: وهذه الآية ينبغي أن يُقرِّرها كلُّ مؤمن في نفسه، فإنه تفتح مضايق الدنيا.

فيُهيِّئ الله -عز وجل- لعبده الداعي إلى الله على منهاج النبوة من أسباب الحفظ ما لا يخطر له ببال، فالعبد محفوف بحفظ الله وكلأته ورعايته.

ومما علمنا رسول الهدى -صلى الله عليه وآله وسلم-: «اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي».

فالداعي إلى الله -عز وجل- على منهاج النبوة مَحفوفٌ بعناية حفظ من الله -جل وعلا-، وعناية نصر، وعناية دفع لكل أذى من الخلق، وهكذا من يلزم الحق الذي عليه سلف الأمة من الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين، يحفظ من كيد الكائدين، ويحفظ من مكر الماكرين، فعليه لزوم الصبر، والثبات على الحق، وإن قل أهله، ولا يغتر بالكثرة، كما قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين.

فعين المؤمن على من سبق ممن كانوا على الحق، وعلى الصراط المستقيم، وحرصه على اللحاق بهم، والسير على منهاجهم، واقتفاء آثارهم، وتتبع الأسباب المعينة على ذلك.

وفي قوله -جل وعلا-: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]، التسبيح قرن بالصبر هنا، والتسبيح دأب المرسلين -عليهم الصلاة والسلام-، وهو عونهم وقرين صبرهم، يصبرون ويسبحون، يسبحون بحمد ربهم واقرؤوا ذلك في مثل قوله -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧- ٩٩].

واقرأ قوله -جل وعلا-: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقوله -جل وعلا-: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠]، وكان إذا حزبه أمر -عليه الصلاة والسلام- فزع إلى الصلاة، يُناجي ربه -جل وعلا- من بيديه ملكوت كل شيء، فهو يدعو إليه ويشكو إليه، لا يشكو إلى خلقه، ولا يتسخط ولا يجزع، واقرؤوا ذلك في مثل قوله -

جل وعلا-: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩، ٤٠].

فسبحان من تُسبِّح له السموات السبع، والجبال والشجر والدواب، قال -جل وعلا-: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٧، ١٨]، فأمر الله -عز وجل- رسوله -عليه الصلاة والسلام- بالصبر على قومه، وأمره أن يستعين على الصبر بالعبادة لله وحده، ويتذكر حال العابدين من النبيين والمرسلين، ومن قبْلُ نادى يونس -عليه الصلاة والسلام- في الظلمات ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، قال -جل وعلا-: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

هذا دأب الأنبياء في دعوتهم، صبر ودعاء، وصلاة وتسبيح، قال -جل وعلا-: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٤- ٢٦].

هذا أيها الإخوة والأخوات دأب دعوة النبيين والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام-، يسبحون الله صلاة ويسبحون الله ذِكْرا وتنزيها، فقلوبهم بالله مُعلَّقة، لا يرجون سواه، ولا يخافون إلا إياه، ولا يعبدون إلا إياه، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومن أوائل ما نزل على رسول الهدى -صلى الله عليه وآله وسلم- سورة المدثر وفيها قوله -جل وعلا-: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]، وفي سورة المعارج ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، فالعروج إلى الله -عز وجل- لا يكون إلا بالصبر، والصلاة معراج المؤمنين، وفرضت على العباد في ليلة الإسراء والمعراج.

والصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: أمر الله بالصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل، فالصبر الجميل هو الذي لا

شكوى معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه.

وكان -عليه الصلاة والسلام- يأمر أصحابه -رضي الله عنهم- بالصبر، قال -عليه الصلاة والسلام- لأصحابه: «فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» -عليه الصلاة والسلام-.

فالصبر عطاء عظيم، من رب كريم، وما أُعطي عبدٌ.. كما في الحديث عنه -صلى الله عليه وسلم-: «مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».

وجزاء الصبر عظيم، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، لهم معية الرحمن -جل وعلا-، ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وتتلقاهم الملائكة ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على البلاء، وعلى قضاء الله وقدره، فالصبر هو العلامة والسمة العظمى لمنهج الأنبياء في التربية والدعوى، فتربية المرء لنفسه وأهله وولده لا تكون إلا بالصبر، والمصابرة، ودعوة الناس إلى الخير لا تستطاع إلا بالصبر، قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال -جل وعلا-: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]، فجمعت هذه الآية بين الصبر والاستغفار والتسبيح بحمد الله وشكره، فنسأل الله -جل وعلا- أن يجعلنا ممن إذا أُعطي شكر وإذا ابْتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الثلاث كما قال العلماء: عنوان السعداء، أن تكون ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أَذنب استغفر.

في منهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- نتحدث على عجالة عن بعض مكونات هذا المنهج، لكننا سنختم في النهاية بوصية نُوصي بها لكل طالب علم وكل داع إلى الله، بل كل مسلم.

هذا المنهج له مصدر ومضمون وقواعد ووسائل وأساليب، وسمات لقائمين بها.

فأما مصدره ومضمونه: فالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يدعون إلى صلاح الناس بما أنزل من ربهم، بالوحي من الله الذي خلقهم -جل وعلا-، وهو سبحانه أعلم بما يصلحهم، ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، قال -جل وعلا-: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٣]، وقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال -جل وعلا-: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، فمصدر الدعوة هو الوحي المنزل، وإنما يأتي الخلل في الدعوة في القديم والحديث بإخلالها بهذا المصدر، فتوضع الأقوال والآراء والأفكار بمنزلة المصدر، كما في دعوات الجماعات والأحزاب والتنظيمات الذين يعظمون آراء شيوخهم وقادتهم ويقدمونها ويصدرون عنها ولو خالفت الوحي.

فالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- واسطة بين الخالق -جل وعلا- وخلقه لهدايتهم، لإخراجهم من الظلمات إلى النور، من ظلمة الشرك إلى نور التوحيد، من ظلمة المعاصي إلى نور الطاعات، وأعظمها الصلاة، وفي الحديث عنه -صلى الله عليه وسلم-: «الصَّلَاةُ نُورٌ»، فهذا الوحي من الله -عز وجل- إليهم وهو النور الذي يهدون به الناس، قال -جل وعلا-: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

وأعظم ما يدعون إليه الأنبياء وأوله وأوجبه وأفضله: الدعاء إلى توحيد الله -جل وعلا-، إلى: لا إله إلا الله، وهو ما بعث له الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، قال -جل وعلا-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال -جل وعلا-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

وقول: لا إله إلا الله أيها الإخوة والأخوات يكون علما وعملا وتعليما، تعليما للخَلْق كما في حديث معاذ -رضي الله عنه- عندما بعثه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن، قال له -عليه الصلاة والسلام-: «فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» الحديث.

وهذه الكلمة مفتاح الجنة، قد يقولها كثيرون، لكن لا يحققون معناها، وفي الحديث عنه -صلى الله عليه وآله وسلم-: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَّمَ اللهُ بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ»، وفي رواية: «دَخَلَ الْجَنَّةَ».

فلا بد من فهم الكلمة، واليقين بها، والإذعان والانقياد بالطاعة والوفاء بشروطها، قد جمع العلماء شروط لا إله إلا الله في قول القائل:

علم يقين وإخلاص وصدقك *** مع محبة وانقياد والقبول لها

وقال بعضهم شرطا ثامنا:

وزيد ثامنها الكفران منك بما *** سوى الإله من الأشياء قد أله

فلا بد من العلم بمدلوله، لا بد من اليقين، لا بد من الإخلاص والصدق، لا بد من المحبة، لا بد من الانقياد والقبول، وكل رسول من الرسل -عليهم الصلاة والسلام- افتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة الله، كقول نوح -عليه الصلاة والسلام- ومن بعده: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وبها بالعبودية نعت الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، كما قال -جل وعلا- عن نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وقال -جل وعلا-: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ [ص: ٤٥]، وقال -جل وعلا- عن يوسف: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وقال -جل وعلا- عن نبينا -صلى الله عليه وآله وسلم-: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

فالرسل -عليهم الصلاة والسلام- كلهم أجل مقاماتهم العبودية، التي دعوا إليها أقوامهم، وكلهم قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

والإسلام دين الأنبياء كلهم كما جاء عن نوح -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وإبراهيم وإسماعيل قال: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]؛ أي واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك بالطاعة أحد سواك، ولا في العبادة غيرك.

ويعقوب قال لبنيه: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وسليمان -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١]، وقال موسى: ﴿يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقال يوسف -عليه السلام-: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

جاء في صحيح البخاري عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»، أولاد العلات الإخوة لأب وأمهاتهم شتى، العلات الضرائر، فأصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت الشرائع في كيفياتها وكمياتها وأجناسها وأنواعها، وهو عبادة الله -عز وجل- وحده والخضوع والانقياد لأمره، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آلعمران: ١٩].

قال -جل وعلا-: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًا وَلاَ نَصْرَانِيًا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧].

قد ختم الله -جل وعلا- الرسل -عليهم الصلاة والسلام- بمحمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، هو خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، ولا يقبل من أحد دينا إلا ما جاء به -عليه الصلاة والسلام-، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، قد جاء عنه -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَا يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

ومقولة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لأقوامهم واحدة، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٨]، لذلك لا دين إلا بطاعة، الطاعة أصل في دعوة النبيين -عليهم الصلاة والسلام-، فكلهم دعوا أقوامهم إلى ذلك.

كما جاء عن عيسى -عليه السلام- قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٨]، وكذلك جاء عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب كما في سورة الشعراء وغيرهم، قد قال -جل وعلا-: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء: ٨٠].

والدين الذي بعث به محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- ناسخ لكل دين جاء قبله، فلا طريق إلى الجنة إلا من طريق محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، والإيمان بما جاء به من عند الله -عز وجل-، وفي سورة البقرة نلحظ قصة موسى -عليه الصلاة والسلام- وهو يعالج قومه على الطاعة، وجاء في ختامها آيتين عظيمتين، أوتيهم النبي -صلى الله عليه وسلم- من كنز تحت العرش، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وجاء عنه -عليه الصلاة والسلام-: «أَنْ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»، قيل: كفتاه من قيام الليل، وقيل: كفتاه من الشيطان، وقيل: كفتاه من الآفات، وقيل: من كل سوء، ويحتمل هذا الحديث كل ما تقدم.

ونحن نطلب الهداية من الله -جل وعلا- في كل صلاة، وهي في طاعة الله -جل وعلا- ورسوله، قال -جل وعلا-: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، فالرسل -عليهم الصلاة والسلام- يدعون إلى الطاعة، والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- واحد... العبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم مقصودها واحد، ولها أصلان عظيمان، أحدهما: ألا يعبد إلا الله، والثاني: أن يعبد بما أمر وشرع لا بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع.

كما قال -جل وعلا-: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال -جل وعلا-: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال -جل وعلا-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

هذا المصدر العظيم أيها الإخوة والأخوات وهو الوحي، الذي دعا به وإليه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، يتضمن العلم والحكمة، قال -جل وعلا-: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة هي العلم بالمدعو إليه والمدعو به والمدعوون، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، الآيات وفي ثناياها قوله -جل وعلا-: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وفي ختامها قال -جل وعلا-: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الحكمة في قوله -جل وعلا-: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، الحكمة هنا هي السنة والشريعة، كما في الآية المتقدمة، ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩]. وأصل الدين الإخلاص والمتابعة، كما تقدم في الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فلا يُقبَل عملُ عاملٍ إلا بأن يجمع بين الوصفين، أن يكون لله، وأن يكون موافقا للسنة؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، وفي رواية: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

ومدار ذلك على صلاح القلب، وهو محل نظر الرب -جل وعلا-، «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، «أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

والرسل -عليهم الصلاة والسلام- يدعون إلى الإيمان بالبعث والجزاء، ويذكرون العباد بالنعم، لقد أنعم الله عليهم وهم أعظم من يتذكرون نعم الله، ويذكرون بها خلقه، كما جاء عن سليمان -عليه السلام- قوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩].

وعلمنا رسول الهدى -صلى الله عليه وسلم- سيد الاستغفار، وفيه نقول: «وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ»، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، أنعم الله -جل وعلا- علينا بالخلق، وأنعم علينا بالرزق، وأنعم علينا بالهداية، وهي أعظم وأجل النعم. والله -جل وعلا- بعث رسله -عليهم الصلاة والسلام- مبشرين ومنذرين يبتغون رضا الرب -عز وجل- وسعادة خلقه في الدنيا والآخرة.

والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يستقون منهجهم في الدعوة من وحي الله، لقد أيدهم الله -جل وعلا- بوحيه، وعَصَمَهم من الوقوع في الزلل، وفي القرآن العظيم عرض لأساليب الأنبياء في دعوة أقوامهم، والتي تكفَّل للداعي إلى الله نجاح دعوته إن هو سار على نهجها، بل إن السير على نهجها حتم لازم عليه، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فمنهج الأنبياء واجب الاتباع، وبه تتم الهداية، ولا هداية إلا من طريقهم، فالله -جل وعلا- عصمهم وطهرهم واصطفاهم من بين الخلق أجمعين، فهم صفوة الخلق وأفضل الناس في العلم والعمل، والصدق والأمانة، والحجة والبرهان.

أما القواعد، فيمكن أن نقول: إن منهج الأنبياء -عليهم السلام- يقوم على ثلاث قواعد رئيسة، وهي مأخوذة من كلام ابن القيم -رحمه الله- حيث يقول: الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من أولهم إلى خاتمهم: أرسلوا بالدعوة إلى الله، وبيان الطريق الموصل إليه، وبيان حال المدعوين بعد وصولهم إليه.

قال: فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كل ملة على لسان كل رسول، فعرفوا الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفا مفصلا، إلا أن قال: وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة.

قال: والقاعدة الثانية تعريفهم بالطريق الموصل إليه، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه لرسله وأتباعهم، وهو امتثال أمره واجتناب نهيه والإيمان بوعده ووعيده.

والقاعدة الثالثة: تعريف الحال بعد الوصول وهو ما تضمن اليوم الآخر من الجنة والنار وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصراط، وهذا القرآن العظيم: ثلث في التعريف بالله وأسمائه وصفاته -جل وعلا-، وثلث في بيان الأحكام من المأمورات والمنهيات الواجبة على العبد: فعلا وتركا، وثلث في أحوال المدعوين وجزائهم في الدنيا والآخرة إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

ولذلك جاء في سورة قل هو الله أحد أنها تعدل ثلث القرآن، وهي سورة الإخلاص.

والداعي إلى الله حقا وصدقا هو من يَنهل من مَعين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ، يتبع آثارهم، وينهج نهجهم، بخلاف غيره من الدعاة، ممن يدعو إلى شيخه، أو حزبه، أو إمامه، يتتبع آثاره وتعاليمه، فهذا هو الفرقان، بين الدعاة إلى الرحمن والدعاة إلى غيره، فزِنْ حال الدعاة بهذا الميزان، زِنْه بهذه القواعد الثلاثة، وأعظمها أولها، هل الداعي يعرف بالله ويدعو الناس إليه، أم يعرف بنفسه ويدعو إليها، أو يدعو إلى حزبه وجماعته.

قصص القرآن قصص النبيين والمرسلين اشتملت أو جاءت في معظم سور القرآن، وفي ذلك دليل أكيد على لزوم منهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وشدة حاجة الدعاة إليه، وإنما يضل عن هذا المنهج من يضل بسبب الجهل به، أو بسبب الهوى، فالعلم ينفي الجهل، ويوقف الداعي على خطورة الهوى، والتحذير منه، وهو يقرأ قول الله -جل وعلا-: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾

[الروم: ٣٠- ٣٢]، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤] لا يستوون، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

واتِّباع الهوى سببٌ للضلال على السبيل، وعاقبتُه العذاب الشديد، قال -جل وعلا-: ﴿وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وأعظمُ آفةٍ تُصيب الدُّعاة اتِّباع الهوى، ولا عصمةَ من ذلك إلا بالاتِّباع لمنهاج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، أعظم منهج هو منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعوته، قد كمَّل الله -جل وعلا- به الدِّين، وختم به الأنبياء، وجعل الكتاب الذي أنزل عليه مُهيمنًا على الكتب التي أُنزلت من قبْلُ.

والقرآن والسُّنة كلاهما وحيٌ أنزله الله على النبي الخاتَم -صلى الله عليه وسلم-، قال -جل وعلا-: ﴿وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: الكتاب هو القرآن، والحِكمة هي السُّنة.

أما وسائل المنهج: فيُمكن أن نتبيَّن ذلك من الهَدي النبوي، ومن خلال ثلاث آيات: أوَّلُها: قوله -جل وعلا-: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فالعلم أعظم الوسائل، ولعلِّي أشير هنا إلى شيء من معاني البصيرة في اللغة، ومما ذَكَرَه المفسِّرون عند هذه الآية، حيث ذَكروا معانيَ عظيمةً ينبغي أن تعلم أن هذه الكلمة وهي البصيرة تكتنز كل هذه المعاني.

فمنها العلم، والمعرفة، والتحقق، واليقين، والبيان، والثبات، والبرهان العقلي والشرعي، والعبرة، ومن معانيها الحجة، ومن معانيها الفطنة، ومن معانيها القصد، وكل هذه المعاني ينبغي أن يتحلى بها الداعي إلى الله، ولقد بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- الغاية في العلم والمعرفة والحجة والبيان، فلا بد أن يتصف الداعي إلى الله بالعلم النافع،

والحجة الدامغة، والمعرفة الصادقة، والقصد الصحيح، والفطنة الحادة، والبيان الواضح، واليقين الراسخ، والثبات الدائم، والعبرة الناطقة، والبرهان الساطع.

الثاني: قوله الله -جل وعلا-: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وكما كانت البصيرة تكتنز معانيَ عظيمةً، فكذلك هي الحكمة، فمن معانيها مما ذكره أهل اللغة والمفسرون: الوحي، والقرآن، والسنة، والفقه، والعلم، ومن معانيها النور، ومن معانيها الورع، ومن معانيها المنع، الحكمة تفسر بأنها المنع، لأنها تمنع من الجهل والسفه، وأصلها مأخوذ من الحكمة، الحكمة التي توضع في فم الفرس، تمنعه من أن يحيد عن طريقه.

ومنها: التلطف ومنها اللين، ومنها المقالة المحكمة، ومن معاني الحكمة التي ذكرها المفسرون: المعرفة بمراتب الأعمال، فهذه الكلمة العظيمة تكتنز هذه المعاني العظيمة.

وللإمام مالك -رحمه الله- تفسير للحكمة: أنها نور يقذفه الله في قلب العبد، ولابن القيم -رحمه الله- تعريف لها: بأنها فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي.

قال: ولها ثلاثة أركان: العلم والحلم والأناة، قال: وآفاتها وأضدادها الجهل والطيش والعجلة، فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول.

فالحكمة العلم بمراتب الأعمال، ومن الجهل تأخير ما حقه التقديم، أو تقديم ما حقه التأخير، وأعظم ذلك في دعوة الأنبياء توحيد الله -جل وعلا- وإفراده بالعبادة، فلا يكون الداعي على منهاج النبوة إلا إذا عظم التوحيد، وعظم إقامته في النفوس، ومن بعده عظم شأن الصلاة التي عظمها الله -جل وعلا- ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.

وهذا الأمر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، من يقرأ كتاب الله ومن يعلم سُنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسيرته، يرى هذا الأمر واضحًا بيِّنًا، وحديث معاذ -رضي الله عنه- أصل في هذا الباب، عندما قال له النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ بعثه لليمن، «فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

بسم الله الرحمن الرحيم..

توقفنا عند الحكمة وقلنا بأنها تكتنز معانيَ عظيمةً، ووقفنا على أن من معانيها العلم بمراتب الأعمال، وإذا رأيت الداعي إلى الله -جل وعلا- يعظم التوحيد فاعلم أنه على السنة، وعلى منهاج النبوة، وإذا رأيته يهمل التوحيد أو يقلل من شأنه، أو من شأن دعاته، فاعلم أنه على خِلاف السُّنة.

الآية الثالثة في وسائل المنهج: قول الله -جل وعلا-: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، هذه الآية جمعت مكارم الأخلاق، وإنما بعث النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ليتمم صالح الأخلاق، وجاء في الصحيح أن هرقل سأل أبا سفيان عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال لهم: بماذا يأمركم، قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

فالتدرج من الحكمة، وهو العلم بمراتب الأعمال، كما تقدم في حديث معاذ -رضي الله عنه- قال: «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ».

ومن الحكمة البدء بالأقرب، كما قال -جل وعلا-: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال -جل وعلا- عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ [الصافات: ٨٥]، فأحق الناس بالنصح الأقرب فالأقرب.

ومن أساليب الدعوة التي يكتنزها المنهج يمكن أن نقف على شيء من ذلك بما يتسع به الوقت، من التنويع في الأساليب، كما جاء في نوح -عليه السلام-، أنه قال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥]، وقال: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٨، ٩].

من الأساليب الرفق والرأفة بالمدعوين، ومنها التلطف في الخطاب معهم، قال -جل وعلا- لموسى وهارون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

ومنهج الأنبياء يتسم بوضوح الخطب لوضوح الهدف، ويتسم بقوة الحجة وقوة العاطفة.

ومن الأساليب التخوُّل وتحيُّن الإقبال، والتهيئة له، وقد جاء في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: «حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مِرَارٍ، وَلَا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ» الحديث.

وفيه أيضًا حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- وأنه كان يذكر أصحابه كل خميس، فقالوا له: وددنا يا أبا عبد الرحمن لو وعظتنا كل يوم، فهنا جاءت الرغبة من قبل من؟ من قبل المدعوين، لكنه أعرف بما يحتاجون إليه، وأعرف بما يصلحهم، فقال لهم ماذا؟ هل استجاب لهم، لم يستجب لهم، وإنما قال لهم كلمة عظيمة: (أما إني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولنا بها مخافة السآمة عليكم).

فهذا هو نهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، يتعاهدون تعاهد مستمرا، لا يملون، يتخولون بالموعظة والتذكير والترغيب والترهيب.

الأمر الخامس فيما يتعلق بالمنهج: سمات القائمين بهذا المنهج، الحقيقة مما تقدم أو ذُكر من أمور وصفات قد تكون كافية، لكن أُجمل هنا إجمالا لعله يكون فيه إن شاء الله فائدة.

أوَّلها: العلم بما يدعون إليه، والمعرفة بالناس، فالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أعظم الناس علما بالله -جل وعلا-، بأحكامه، بأيامه، وأكمل الناس أيضًا معرفة

بالمدعوين، قال -جل وعلا-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

والعلم أصل لا دين إلا بعلم، ولا علم إلا بدليل، ولا دليل إلا من الكتاب والسنة.

ومن أعظم السمات الإخلاص، فهم يدعون إلى الله ويطلبون الأجر منه سبحانه، وكانت مقولة الأنبياء لأقوامهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

ومنها: اليقين، فالأنبياء أعظم الناس يقينا بالله، وبما يدعون إليه، فإذا حدثوا الناس عن الجنة وعن النار فكأنهم يرونها، كما جاء في حديث حنظلة، في صحيح مسلم عندما قال: نكون عند رسول الله يُذكِّرنا بالجنة والنار كأنَّا رأي عينٍ.

ومنها أيضًا: الصبر، فالأنبياء أعظم الناس صبرا كما تقدم، صبرا على طاعة الله، صبرا على ما يلقونه في سبيل الدعوة، وكان النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه.

فالصبر مع اليقين بهما كما قال العلماء: تنال الإمامة في الدين، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ومن السمات العظيمة: العبودية، فالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وَفَّوْا مقامات العبودية، العبودية الحقة لله -جل وعلا-، وهي أشرف أحوالهم، قال -جل وعلا-: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

ومنها: الصلاح والاستقامة فهم أكمل الخلق صلاحا واستقامة، بها أمروا فاستقاموا على أمر الله.

ومنها: النُّصح، فهم أكملُ الخَلْق نُصحا، وتقدم قبل الأذان أن أركان الحكمة: العِلم والحِلم والأناة، فالداعي إلى الله وكذلك المُربِّي لأهله ووَلَده، لا يَتم له ذلك إلا بالعِلم، بالعِلم بما يصلح دينهم ودنياهم.

والتَّحلِّي بالحِلم في معاملتهم، واصطحاب الأناة والرفق وعدم العجلة على هدايتهم وصلاحهم.

أخيرا: وصيتي لكل طالبِ عِلمٍ وداعٍ إلى الله ومُبتغٍ لمنهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في الدعوة إلى الله.

أقول له: بين يديك كتاب الله -جل وعلا-، اتْلُه حقَّ تلاوته، قال -جل وعلا- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يتَّبعونه حق اتِّباعه.

ولذلك قال العلماء: أن من علوم القرآن صفات الرسل وأحوالهم، وما جرى لهم وعليهم، مع من وافقهم ومع من خالفهم، وما هم عليه من الأوصاف الوافية، فإذا مرت عليك هذه الآيات، عرفت بها أوصافهم، وازدادت معرفتك بهم، ومحبتك لهم، وعرفت ما هم عليه من الأخلاق والأعمال، خصوصا إمامهم وسيدهم محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-.

فيَقتدي العبد بأخلاقهم، وأعمالهم، بحَسَبِ ما يقدر عليه، ويفهم أنَّ الإيمانَ بهم تمامُه وكمالُه بمعرفتِه التَّامة بأحوالهم، ومحبتهم واتباعهم.

فمنهج الأنبياء تعرفه من القرآن العظيم، تعرفه من سنة سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم-، وسيرته، من كتب السلف الصالح، الذين كتبوا وهم ينشدون الحق، وعزة الدين، ولذلك ينبغي أن يحذر المرء من كتابات أهل الأهواء ولو سميت هذه الكتابات منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، أو فقه دعوة الأنبياء، فهؤلاء يكتبون وأعينهم على حزبهم أو جماعتهم، ينتقون من المواقف والأحداث ما يوافق أهواءهم، ويتركون ما هو حجة عليهم.

ولذلك ينبغي أن يتحقق طالب العلم من الكاتب، وصحة عقيدته، وسلامة دينه من الأهواء والبدع.

اللهم اهدنا صراطك المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، اللهم اغفر لنا ولوالدينا واغفر للحاضرين والمستمعين، واجز القائمين على هذا البرنامج خير الجزاء وأوفره، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

حولت المادة الصوتية الى نصية كما القيت ولم تتم مراجعتها من قبل الشيخ